

دلائل الإعجاز

أطرافِ أصابعٍ كالعدنّابِ بِثَغْرٍ كالبرَدِ كان شيئاً يُتكلّمُ بمثله وإن كان مردولاً . وهذا موضعٌ لا يتبيّنُ سرّهُ إلاّ مَنْ كان ملتهباً الطّبعِ حادّ القريحة . وفي الاستعارةِ علمٌ كثيرٌ ولطائفٌ معاني ودقائقٌ فروقٍ . وسنقولُ فيها إن شاء الله في موضعٍ آخر .

واعلمُ أنّنا أخذنا في الجوابِ عن قولهم : إنّه لو كان الكلامُ يكونُ فصيحاً من أجلِ مزيّةٍ تكونُ في معناه لكان ينبغي أن يكونَ تفسيرهُ فصيحاً مثله : قلنا إن الكلامَ الفصيحَ ينقسمُ قسمين : قسمٌ تُعزّي المزيّةُ فيه إلى اللفظِ . وقسمٌ تُعزّي فيه إلى النظمِ . وقد ذكرنا في القسمِ الأولِ من الحججِ ما لا يدبّقى معه لعاقلي - إذا هو تأمّلها - شكٌّ في بطلانِ ما تعلّقوا به من أنه يلزمنا في قولنا : " إن الكلامَ يكونُ فصيحاً من أجلِ مزيّةٍ تكونُ في معناه " أن يكونَ تفسيرُ الكلامِ الفصيحِ فصيحاً مثله . وأنه تهوُّسٌ منهم وتقصُّمٌ في المحالات .

وأما القسمُ الذي تُعزّي فيه المزيّةُ إلى النظمِ فإنّهم إن ظنوا أنّ سؤالهم الذي اغترُّوا به يتجه لهم فيه كان أمرهم أعجب وكان جهلهم في ذلك أغرب وذلك أنّ النظم كما بيّنناه هو توخّي معاني النحو وأحكامه وفروقه ووجهه والعمل بقوانينه وأصوله وليست معاني النحو معاني الألفاظ فيتصوّر أن يكون لها تفسيرٌ .

وجملةُ الأمر أنّ النظم إنما هو أنّ " الحمد " من قوله تعالى : (الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم) مبتدأً و " " خبر وربّ صفةٌ لاسم الله تعالى ومضافٌ إلى العالمين والعالمين مضافٌ إليه والرحمن الرحيم صفتان كالربّ ومالك من قوله : (مالك يوم الدين) مضافٌ أيضاً ومضافٌ إلى يوم و " يوم " مضافٌ إلى الدين . وإياك : ضميرٌ اسم الله تعالى مما هو ضميرٌ يقعُ موقعَ الاسمِ إذا كان الاسمُ منصوباً . معنى ذلك أنّك لو ذكرتَ اسمَ الله مكانه لقلتَ : " نعبدُ ثم أنّ " نعبدُ " هو المقتضي معنى النصبِ فيه . وكذلك حكمُ " إياك نستعين " . ثم إن جملةَ " إياك نستعين " معطوفٌ بالواو على جملةِ " إياك نعبد " . و " الصراط " مفعولٌ و " المستقيم " صفةٌ للصراتِ و " صراط الذين " بدلٌ من الصراط المستقيم " وأنعمت عليهم " صلةُ الذين " وغير المغضوب عليهم " صفةُ الذين " والضالين " معطوفٌ على المغضوب عليهم